

روح المعاني

قل الأنفال ﷻ والرسول أي حكمها مختص بـ ﷻ تعالى وبالرسول مظهرية فاتقوا ﷻ بالإجتنا ب عن رؤية الأفيال رؤية فعل ﷻ تعالى وأصلحوا ذات بينكم بمحو صفات نفوسكم التي هي منشأ صدور ما يوجب التنازع والتخالف وأطيعوا ﷻ ورسوله بفنائها ليتيسر لكم قبول الأمر بالإرادة القلبية الصادقة إن كنتم مؤمنين الإيمان الحقيقي إنما المؤمنون كذلك الذين إذا ذكر ﷻ بملاحظة عظمتة تعالى وكبريائه وسائر صفاته وهو ذكر القلب وذكره سبحانه وتعالى بالأفعال ذكر النفس وجلت قلوبهم أي خافت لإشراق أنوار تجليات تلك الصفات عليها وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً بالترقي من مقام العلم إلى العين .

وقد جاء أن ﷻ تعالى تجلى لعباده في كلامه لو يعلمون وعلى ربهم يتوكلون إذ لا يرون فعلاً لغيره تعالى وذكر بعض أهل العلم أنه سبحانه وتعالى نبه أولاً بقوله عز قائلًا : وجلت قلوبهم على بدء حال المرید لأن قلبه لم يقو على تحمل التجليات في المبدأ فيحصل له الوجع كضربة السعفة ويقشعر لذلك جلده وترتعد فرائضه وأما المنتهي فقلما يعرض له ذلك لما أنه قد قوي قلبه على تحمل التجليات وألفها فلا يتزلزل لها ولا يتغير وعلى هذا حمل السهروردي قدس سره ما روي عن الصديق الأكبر رضي ﷻ تعالى عنه أنه رأى رجلاً يبكي عند قراءة القرآن فقال : هكذا كنا حتى قست القلوب حيث أراد حتى قويت القلوب إذ أدمنت سماع القرآن وألفت أنواره فما تستغربه حتى تتغير ونبه ثانياً سبحانه وتعالى بقوله جل وعلا : زادتهم إيماناً على أخذ المرید في السلوك والتجلي وعروجه في الأحوال وثالثاً بقوله عز شأنه : وعلى ربهم يتوكلون على صعوده في الدرجات والمقامات وفي تقديم المعمول إيدان بالتبري عن الحول والقوة والتفويض الكامل وقطع النظر عما سواه تعالى وفي صيغة المضارع تلويح إلى إستيعاب مراتب التوكل كلها وهو كما قال العارف أبو إسماعيل الأنصاري أن يفوض الأمر كله إلى مالكة ويعول على وكالته وهو من أصعب المنازل وهو دليل العبودية التي هي تاج الفخر عند الأحرار والظاهر أن الخوف الذي هو خوف الجلال والعظمة يتصف به الكاملون أيضاً ولا يزول عنهم أصلاً وهذا بخلاف خوف العقاب فإنه يزول وإلى ذلك الإشارة بما شاع في الأثر نعم العبد صهيب لو لم يخف ﷻ لم يعصه الذين يقيمون الصلاة أي صلاة الحضور القلبي وهي المعراج المعنوي إلى مقام القرب ومما رزقناهم من العلوم التي حصلت لهم بالسير ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لأنهم الذين ظهرت فيهم الصفات الحقة وغدوا مرايا لها ومن هنا قيل : المؤمن مرآة المؤمن لهم درجات عند ربهم من مراتب الصفات وروضات جنات القلب ومغفرة لذنوب الأفعال ورزق كريم من ثمرات أشعار التجليات الصفاتية وقال بعض العارفين : المغفرة إزالة الظلمات الحاصلة من

الإشغال بغير الله تعالى والرزق الكريم الأنوار الحاصلة بسبب الإستغراق في معرفته ومحبه
وهو قريب مما ذكرنا كما أخرجك ربك من بيتك متلبسا بالحق وإن فريقا من المؤمنين وهم
المحتجبون برؤية الأفعال لكارهون أي حالهم في تلك الحال كحالهم في هذه الحال يجادلونك
في الحق بعد ما تبين لك أو لهم بالمعجزات إذ تستغيثون ربكم بالبراءة عن الحول والقوة
والإنسلاخ عن ملابس الأفعال والصفات النفسية فاستجاب لكم عند ذلك أني ممدكم من عالم
الملكوت لمشابهة قلوبكم إياه حينئذ بألف من الملائكة أي القوى السماوية وروحانياتها
مردفين لملائكة أخرى وهو إجمال ما في آل عمران وما جعله الله أي ما جعل الله تعالى الإمداد